رشفة من اليابان

طـلال ســالم
@talsabiri

رشفة من اليابان

الإهداء

قيل إن الكتاب من عنوانه

وكتابي هذا من إهدئه

هو لكل من يمنح التجربة فرصة اخرى

لكل من يحاول أن ير ى الحياة بعين الآخرين

لكل من يرى ما يؤمن به من خلال إيمان من أمامه

لكل من يحيي بداخله شغف المعرفة

وشغف الكتابة

وروح التعبير

لكل من يكبر العطاء

وينظر لروعة الإختلاف

ولك لعلك ترى ما رأيت في اليابان

أو ربما تزورها وتكون لك تجربة أخرى تكتبها بروحك

الأماكن وارتباطنا بها

الأماكن نكهة الحياة، تاريخ من مروا من بشر، ثقافاتهم، مشاعرهم، تراثهم كل ما آمنوا به، الأماكن الحكايات الإيمان الذي يوقظ الإنسان ليسجل يومه بأنامله بكل ما يملك من حلم وانطلاق، بكل جذوره التي غرسها في الأرض في أهله في تطلعاته ورؤيته للحياة، الأماكن التي نمر بها تعيد ترتيب حياتنا وتصقلنا وتجعلنا نتفكر في الحياة من جديد، الأماكن تعب الفلاحين وآمالهم بالأرض ورحلة البحارة بأشرعتهم واستراحة المحاربين المدافعين عن أفكارهم ومعتقداتهم بكل شيء، كل ذلك يجتاحني كلما فكرت في زيارة بلد ما في مكان ما على وجه الأرض، أفكر بما سيضيفه إلي المكان وما سأرسم له من صورة في ذهني أنقلها للآخرين، كيف لا وهذه الفكرة التي استفزت الكاتب أن يرتحل لمكان ما فيتشرب وجوده ويحيا تفاصيله بكل ما أوتي من أحاسيس وفكر ليبذر حلم الكتابة فيه بلا انتهاء، كيف وهذا المكان هو اليابان بكل ما يحمل من عراقة وتراث وتاريخ وانطلاق اليابان التي كلما ذكرت أصبت بالدهشة وانتابتني رغبة بكشف الستار واجتياح المجهول وربما ربط كل ما يمر علي من أحجيات أحاول كشف

سرها عن أرض وعن إنسان أضاف للإنسانية الكثير وعن إيمان بالحياة يختلف عما اعتدنا عليه وعن طريقة للحياة لا تشبهها الطرق الأخرى، وكأن الناي الياباني العريق يعزف بهدوء لأجيب النداء في رحلة الكتابة التي لم أتردد لحظة في قبولها وأنها بوابة جديدة لاكتشاف الذات من خلال دهشة الطفولة من خلال الآخر بكل ما يملك من إرث وعمق وازدهار، أو ربما أنه إيمان بين شعبين آمنا بالثقافة جسراً يربط الحياة وينطلق للأمام، وقد تبدأ الرحلة هنا من الحرف والكتابة لتستمر لأجيال وأجيال بلا انتهاء.

إن فكرة تبادل الكتاب بدأت كبيرة لما نحتاجه في هذه الأيام من تقبل للآخر من خلال فهمه،الإستماع إليه ومحاولة إيجاد الرابط في الشعر والمسرح والفنون والموسيقا، ذلك الرابط الذي يربط الإنسانية ويمنحها بعداً عميقاً بعيداً عن النظرة أو الصورة المسبقة، أو المحاولة في محاكمة الآخر وقياسه من قبل ما اعتدنا عليه من ثقافة، فكل إنسان يرى الحياة من منظوره المختلف تماماً عن منظور الآخرين، وهذا الأمر جعل الناس كما قال عز وجل في المعنى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، وما أجمل أن ترى نفسك أيضاً بعين الآخر لأنك حتماً سترى ما لم تعتد على رؤيته وسترى ما يختلف معك وما يتفق أيضاً مع ما تؤمن به، وفي كلتا الحالتين تكون أنت الرابح إذا ما تمكنت من استيعاب الإختلاف والرؤية المخالفة دون أن تبدأ بمحاولة الدفاع عن وجهة نظرك قبل أن تستمع لوجهة النظر الأخرى، ومن هنا أرى أهمية هذا التمازج

الثقافي في اكتشاف العالم بمنظور محايد ومحو الصورة المسبقة والإتيان بصورة جميلة إيجابية يمكنها أن تبدأ حركة جديدة للتآلف بين الشعوب.

كيوتو وبداية الحرف

السادسة والنصف صباحاً بتوقيت كيوتو وروعة كل شيء هنا تجتاح هذا القلم الذي بدأ بالكتابة، وكل حرف هنا مختلف جداً لأن الحياة هنا مختلفة جداً بالقدر الذي يشعرك بأهمية الإنسان كلمة ومعنى بقدر ما يملك الإحترام من حكايات نلمسها في أرض الشمس الساطعة كما كان يسميها الصينيون، أو ربما لأن الآماكن التي يسكنها التاريخ تسكنها حيوات أخري أو أن ذلك السلام الذي سكن الأيائل في كيوتو باعتبارها حيوانات مقدسة وأنها تمشي في سلام يسكنك في تاريخ اليابان وكأنك تعيد إحياء هذه العاصمة التاريخية أمامك، وكأنك ترى إمبراطورها يبدأ بها بعد نارا وينتقل بالزمن إلى إيدو حضارة تتشكل وشعب يرقى قد لا نتفهم أحياناً سبب تقديس حيوان ما كالأيل ولكن الشعور الذي تضفيه هذه المعابد والشعور بالسلام قد يطرح هذا التساؤل عن تاريخ ذلك خصوصاً في منطقة مثل كيوتو، وهنا يكمن سر البحث عن التشابه فمعابد الشنتو المنتشرة تملك حوضاً للماء البارد في أولها للوضوء ويكون هذا الوضوء بسكب الماء من خلال ملعقة خشبية في اليد لليد الأخرى،المضمضة ثم عكس العملية وتنتهي العملية بغسل

الملعقة ووضعها لمن يسأتي بعدك، تلك العملية التي يؤمن بها اليابانيون الذين يدينون ديانة الشينتو بأنها تطهر الفم من اللغو، وبالبحث عن التشابه نرى ذلك قريباً جداً كسلوك اختلافاً بالإيمانيات والطريقة، ومن هذا التشابه ندرك أن الإنسانية تشترك في الكثير من معتقداتها، ولا أنسى أننا بعد زيارتنا للمعبد تم تقديم زجاجة من الماء المنحدر من النبع على أنه ماء مقدس ويشفي الأمراض من قبل الأصدقاء اليابانيين.

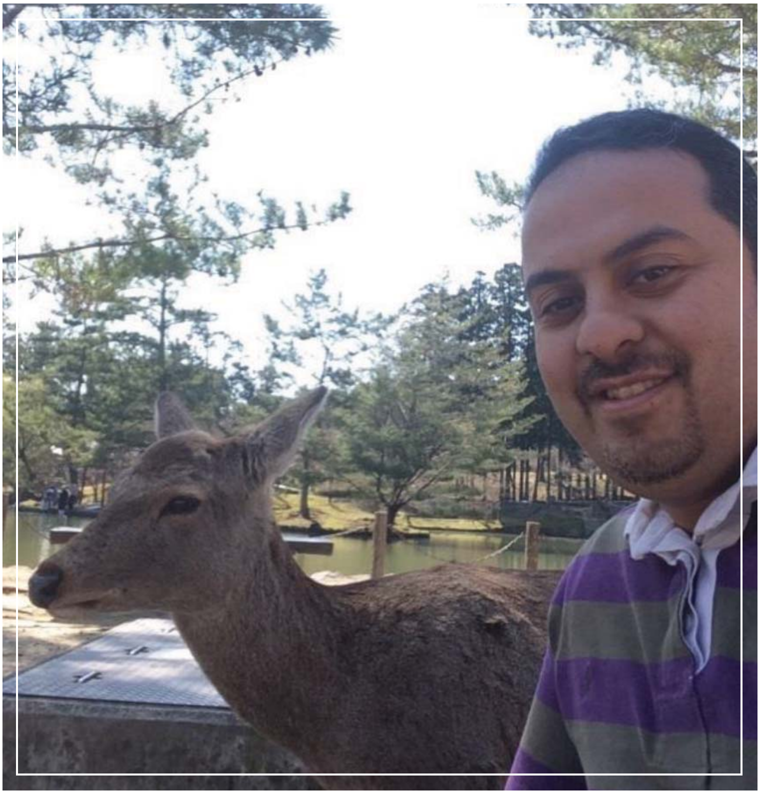

إنها الأيام تمضي من رحلة اليابان التي بدأت في خافقى بالإنبهار الثقافي، وكيف أن هذا البلد استطاع أن يصل برسالته إلى العالم دون أن يتحدث إليه، وكيف أنني أتذكر ساعة اليد الأولى التي اشتراها لي والدي والتي كتب عليها من الخلف صنع في اليابان، (كاسيو) وأن العبارة التي كان يرددها عن الجودة مازالت تدور في خلدي بأن الإتقان سرٌ ارتبط باليابان وباليابانيين منذ الثمانينيات، ولم يغب هذا التساؤل رغم تغير الكثير من الصور عبر الوقت وأن يكون التقدم بتصدير هذا الإيمان العميق بالإتقان ملفتاً جداً في التطور والجديد والتجديد أيضاً حتى بعد الحصول على هذا التقدم، ورغم أن الصناعة مع الإنفتاح الحضاري لم تعد كالسابق فإنني أتذكر حديث جدتي المليء بالاستغراب حين تبهرها التكنلوجيا -رغم بساطتها في الثمانينيات- ''اليابانيين ما خلو شي'' أي لم يترك اليابانيون مجالاً للآخرين ليبدعوا وكأنهم احتكروا هذا الإبداع لهم منذ الأجهزة التي كانت تأتي إلينا من سوني وسانيو في الثمانينيات وأنك إذا اشتريت البضاعة اليابانية فإنك ستشتري الجودة القصوى والأكثر تطوراً، أما السيارات فهي من تيوتا ونيسان وهوندا تلك الأسماء التي ارتبطت صورتها بالجودة في مجتمعنا في الإمارات والتي أدركنا بعد حين أن لكل منها قصة كفاح وأنها ترتبط بأسماء وعوائل أنتجت وصنعت ففرضت اسمها على صفحة العالم ورغم ما كان يحاول العالم الترويج له في تلك البدايات أن اليابان كانت تقلد البضائع إلا أن إثبات الوجود كان أكبر من ذلك

فاليابانيون كانوا من أوائل الذين آمنوا أن لا يعيدوا اكتشاف العجلة كما يقال بل أن يبدؤا من حيث انتهى الآخرون، الأمر الذي جعلهم يختصرون سنوات كثيرة جداً في سباق التكنلوجيا والصناعة في ذلك الوقت بلا حدود، حتى أننا نتذكر أن من أسباب تراجع الغوص للبحث عن اللؤلؤ كان زراعة اليابانيين للؤلؤ ومنافستهم للؤلؤ المستخرج من الخليج قبل ظهور النفط.

ولكن السؤال الحقيقي بدأ يكبر مع الوقت، هل كانت نكبة اليابان بعد الحرب العالمية الثانية هي سبب كل ذلك؟ أم أن هنالك ارتباطات أخرى ساهمت في تكوين ثقافة الجودة، التي اهتمت بتسهيل كل شيء للإنسان الذي استمد كل ذلك ليدرك أهمية الجودة والتطوير وأن الشعب الياباني أثبت للعالم أهمية نقطة البداية التي نتحول بها فلا نكون كما كنا أبداً وأننا نستطيع أن نبدأ من حيث انتهى الآخرون ونختصر الوقت وننطلق لنجتاز المراحل بلا حدود، بل ونبدع في المجال الذي نمضي به، ولا بأس أن يكون ذلك سباقاً وطنياً في تقديم الأفضل للوطن والإنسان، وأن لا يقتصر هذا العطاء على وطننا فحسب بل وينطلق للعالم ليثبت أهمية ما نؤمن به من ولاء وانتماء وأننا نعمل من أجل الإنسان والوطن كل هذه التساؤلات تمنحني الكثير من التساؤلات التي منها أبدأ البحث، ولعل الأمر ليس بالسهولة التي نظن دائماً فإننا حين نبحث عن ثقافة شعب نبحث عن تاريخهم ودياناتهم ومعتقداتهم وقد يمتد الأمر إلى سنوات من البحث، ولكننا هنا في مبحث

قصير المدى يحاول أن يستنتج أهمية العمل وثقافته لدى اليابانيين وكيف أنه استمد ذلك من تاريخهم وتراثهم وربما لأنه جاء من ثقافة العمل للعمل أو العمل من أجل الآخرين التي جاءت من ثقافة الساموراي، والكثير من الأسئلة تدور حول ارتباطات الشعب الياباني الدينية وتعلق تلك الديانة بالسلطة من جانب لتكون في ثقافة الحياة بأكملها.

بدأت الديانة البوذية في الدخول لليابان في القرن السادس ويقال إنها وصلت من الصين عن طريق كوريا، تلك الديانة التي تآلفت مع ديانة الشينتو والتي كانت تسمى الطريقة الإلهية والتي لا يمكن حصر مؤسسها ومعتقداتها على الرغم من أنها لم تكن إلا في اليابان فقط، ويؤمن الكثير من اليابانيين أيضاً ببوذا كمعلم مستنير وأن هنالك أكثر من حياة للإنسان وأن من يصل الإستنارة يذهب إلى الجنة في الشرق وأن من يذهب إلى جنة الغرب يعطى فرصة أخرى ليعود للحياة ليستنير على سبيل تناسخ الأرواح، ولكن رغم ذلك لا يؤمن الجميع بذلك فالديان البوذية وديانة الشينتو لا تعتمد على توحيد الإله ولا تؤمن بوجود خالق لهذا الكون ولكنها تؤمن بوجود الأرواح والبعض منهم لا يؤمن بالتناسخ كما أنه لا يوجد كتاب واحد يوحد هذه المفاهيم فهي على اختلافها وجدت مذاهب مختلفة متباينة وقد تكون متناقضة في بعض الأحيان لأنها استنسخت من تعاليم معلم إلى معلم آخر عبر آلاف السنين، تلك المعتقدات التي يؤمن بها البعض ولا يؤمن بها البعض الآخر تأتي

ضمن تشكل النسيج والفكر الياباني الذي اعتاد هذا الإختلاف وتعامل معه بطريقة حضارية لم تشكل الإختلافات التي نراها في العالم العدبي والتي قد تمتد لما هو أبعد من التقبل بكثير.

إن زيارة المعبد الذهبي في كيوتو -كينكاكو جي- والذي يتصل بحديقة الزن وكيف أنه فرض نفسه بإتقان وإحكام على البحيرة الرائعة التي تبهر من يراها، تبين أن هذا الإرتباط الديني لم يكن محدوداً بل إنه امتد من الفكر والروح والعاطفة ليفرض نفسه على الواقع كمعلم يعتز اليابانيون بوجوده بل ويظهرونه للعالم فخراً واعتزازاً يرمز للحركة التي قام بها الشوغن لصالح الآداب والفنون ليكون مقراً للشوغن ومن ثم تحويله إلى معبد بوذي تزين جدرانه رقائق الذهب ليبدوا مبهراً بكل ما يحمل الإبهار من معنى.

إن زيارة معابد اليابان والتمعن في كيفية تنسيقها وتوزيعها تبين اهتمام هذا الشعب بالتعاليم الدينية ولكن عدم تحديد تعاليم الدين

بشكل واضح وانفتاح المعتقدات ربما هو السبب أن الكثيرين ابتعدوا عنها في العصر الحديث ولو أنهم يحملون لها التقدير، لكن التأثير المجتمعي للديانة كان له الأثر الواضح في بناء اليابان وفي التأثير على اليابانيين بشكل عام، ولعل من أبرز الإشتقاقات الدينية هي ديانة الزين وهي لا تنفصل تماماً عن البوذية، ولكنها تعتمد على التأمل والطبيعة والتي سنتطرق لها في فصل لاحق، أو أن الإرتباط التاريخي بالإمبراطورية التي تعود إلى القرن السادس ومن ثم بداية عصر الشوغن والساموراي وامتداده لمدى طويل أثر كل التأثير في تشكيل كيمياء المجتمع الياباني ومن ثم العودة إلى الإمبراطورية والتغييرات الكبيرة في العاصمة والحروب التي مرت بها كفيلة لأن تصل به إلى كل هذا الثراء المعرفي التراكمي الذي جعل اليابان كما هي عليه اليوم فضلاً عن ارتباط الشعب بالعادات والتقاليد والتي يعتز بها ويعتبرها جزءاً من تكوينه.

بلاد التفاصيل

بانتظار الربيع بكل ما يحمل الربيع من معنى لليابانيين وبكل ما يعني لهم تفتح ورود الكرز "الساكورا" والتي تكون لمدة عشرة أيام فقط ولكن مع الربيع أيضاً يتغير حتي الأكل في اليابان وينتظر اليابانيون بعض النباتات الموسمية في الربيع، حتي إنهم يعدون لتلك المواسم منذ زمن الإحتفالات لما ترتبط به المواسم من ارتباطات عميقة في الطبيعة التي يؤمنون بها وبتغيرها وتأثيرها عليهم، تلك التفاصيل التي تظهر حتى في الأواني التي يستخدمونها والتي تمثل الربيع وزهور اللوتس والمزينة بالتفاصيل والألوان تشربت في الثقافة اليابانية بل وفي حياتهم اليومية، فالأكل عند اليابانين ليس مجرد ملء للمعدة ولكنه طقوس واستعدادات وجمال منظر قبل أن يكون أي شيء آخر ولا أنسى أن أشير هنا إلى أن تلك سمة حياة انعكست في اهتمامهم بالإنسان وكل ما يوفر له سبل الراحة من تكنلوجيا وارتقاء وإنسانية قبل كل شيء غير متناسين ارتباطهم بالشعر والأحاسيس التي تزين كل مكان ومعلم تمر به في اليابان فضلاً عن انتماءهم للطبيعة وتقديرهم لها باعتبارها تشكل جزءاً من وجودهم، فالفصول في اليابان تختلف اختلافاً

كبيراً ويشعر به اليابانيون بل ويجسدون ذلك في لوحاتهم وشعرهم خصوصاً في قصائد الهايكو التي تنتمي للوقت بشكل كبير، فهي امتداد لتمثيل كل فصل من فصول السنة، حتى أن اليابانيون المهتمون بالهايكو يعرفون و يتعرفون على الوقت والزمن من خلال تلك القصيدة.

سنوات طويلة مرت على اليابان وتاريخ عريق قديم يستحق التمعن كثيراً، فاختلاف تلك الجزر الكثيرة التي تصل إلى أكثر من ثلاثة آلاف جزيرة وتنوعها وقلة المساحة التي يمكن العيش عليها جعلتها دولة مختلفة جداً، فمنذ السنوات واليابان تختلف في فصولها وتختلف في تنوعها الجغرافي الذي يجمع بين البحر والجبل والسهول والغابان، ذلك التنوع الذع أعطاها ميزة مختلفة على غيرها من الدول، فضلاً عن وجودها بالقرب من الحضارة الصينية التي أرسلت إليها ديانتها البوذية من خلال كوريا كما ذكرت سابقاً والتي أخذتها الصين نفسها من الهند منذ السنوات، ساهمت في تشكل نمط مختلف للحياة، هذا النمط يجعل اليابانيين مهتمين بأمور قد لا يهتم بها العالم من طريقة في التعامل مع الطبيعة والأشياء والسعي للتعمير الرأسي والإتجاه إلى تخزين الأشياء بشكل مبتكر جداً ففي زيارة لأحد المخازن الكبيرة كان اعتزاز اليابانيين بثقافتهم واضحاً فهم يؤمنون تماماً أنهم من أفضل الشعوب تكيفاً مع واقعهم بل وأنهم يعملون ما بوسعهم من ابتكار يجعل حياة الإنسان أسهل وأفضل، تلك المخازن التي كان أساسها التوسع الرأسي استناداً إلى التشكل الطبيعي للجزر، فاليابان عبارة عن جبال وغابات ممتدة على أكثر من 80٪ من المساحة وبقية ال 20٪ تشكل المساحات الساحلية المأهولة بالسكان، ليس ذلك فحسب إنما يتعدى ذلك في ابتكار ما يساعدهم على نمط الحياة السريعة والتي يتمركز العمل في وسطها، فترى في اليابان في الحياة

اليومية الكثير من الحلول في التخزين مختصة بالطعام، من تبريد وتحضير يتماشي مع كل ما يؤمنون به حتى وإن كان ذلك من الأشياء المقلقة لديهم في مجتمعهم كتأخر زواج الشباب وانهماكهم في عجلة العمل التي لا تهدأ، فشعورهم بذلك يوقعهم في القلق الدائم بأن لا وقت هناك لإضاعته، فيكون هاجسهم الأول هو المحافظة على الوقت واختصار الجهد وتحقيق أكبر قدر في أقل وقت الأمر الذي جعلهم في المقابل يتعاملون مع ذلك بتوفير نمطاً للحياة لا يعارض ذلك ولا يتوقفون عن البحث عن حلول حقيقية للمشكلات على المدى البعيد.

الفترات التي مرت بها اليابان

تعتبر فترة نارا واختيارها عاصمة لليابان من أهم الأحداث التاريخية التي بدأ معها التدوين وهذه الفترة امتدت من عام 712م إلى عام 784م حيث احتضنت نارا البلاط الإمبراطوري آنذاك وقد تأسس في هذه الفترة المعبد الذي ضم تمثال بوذا تودائي جي دليل تشجيع البوذية في ذلك الوقت كما بدأ في ذلك الوقت استصلاح الأراضي وزراعة الأرز وتخصيص مساحات من الأراضي للعائلات وسن قوانين مختلفة من بناء معابد وغيرها، وبعد انقضاء فترة نارا انتقلت اليابان إلى فترات مهمة كما يلي

هيآن سنوات 197 ـ 1185م

فترة كاماكورا سنوات 1185 ـ 1333

فترة موروماتشي سنوات 1338 ـ 1573 م .

فترة إيدو سنوات 1603 ـ 1868م .

فترة مييجي سنوات 1868 ـ 1912م .

لكل فترة من تلك الفترات وجودها وتطورها الذي قدمته لليابان

بالإضافة إلى فترات من الحروب تخللت تلك الفترات والتي تبعتها عدة تغيرات بين مرحلة الساموراي والشوغن التي أثرت تأثيراً عميقاً في اليابان ثقافة وتعاطياً مع كل شيء ولكنها في الفترة ذاتها كانت اليابان تمعن في انغلاقها على ذاتها وظهور فترات الإقطاعيين الذين

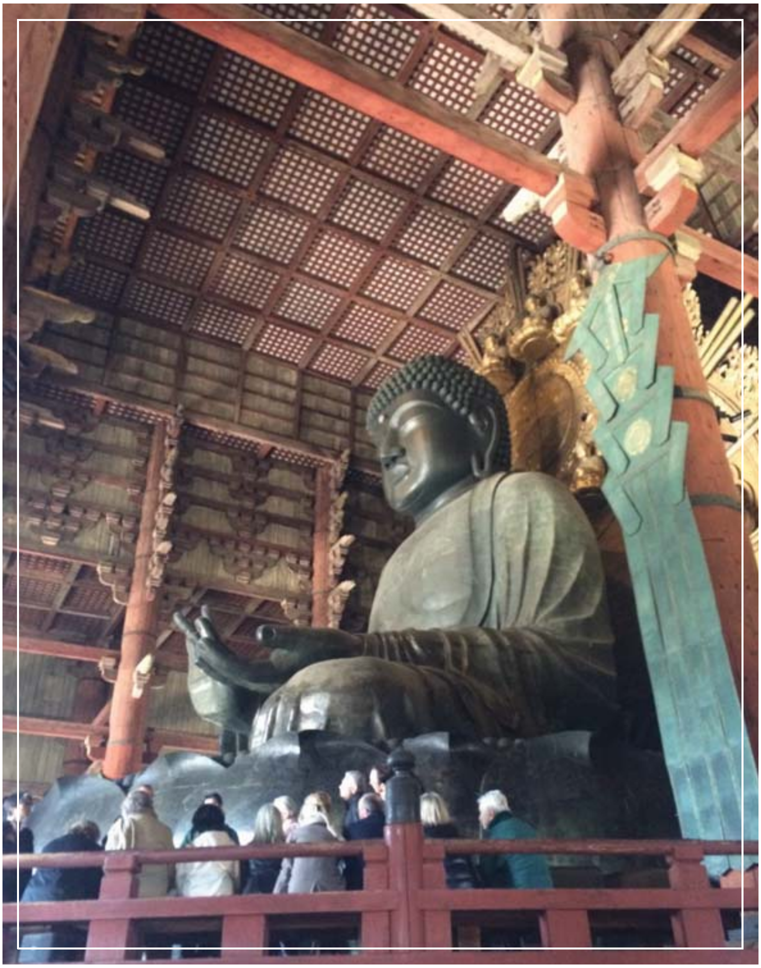

التفوا حول الشوغن في طبقاتهم، والجدير بالذكر أن تقسيم الأراضي والثروات أثر في ظهور الطبقية الإجتماعية من محاربين وفلاحين وصنّاع وتجار ونبلاء البلاط ورجال الكهنوت والرهبان تلك الطبقية التي استمرت في المجتمع الياباني.

تعاليم البوشيدو والساموراي

خلال تلك الفترات والمتغيرات الكبيرة وتعمقاً بديانة الزن ظهرت مع وجود المحاربين تعاليم البوشيدو وقد ظهرت في الفترة الأولى من تطور اليابان ولكنها دونت في فترة إيدو، ويذكر أن هذه التعاليم تشربت من مذهب الزن ومن العقيدة الكونفشيوسية والتي تعتمد على التأمل كأساس وهو إداك التنفس إما عن طريق العد باستخدام وضعية محددة مثل وضعية اللوتس، ومحاولة استحضار الإدراك، وبعض المدارس في الزن تعتمد على التأمل الجماعي لمدة ثلاثين إلى خمسين دقيقة من خلال الجلوس غالباً في المعبد وحديقة الزن، تلك الحديقة التي تمثل الطبيعة ليصل المتأمل كما يقال أن يكون جزءاً من هذه الطبيعة، وغالباً ما يسكن حدائق الزن هذه الهدوء والإعتناء الشديد بالتفاصيل وتنسيق النباتات ووجود الماء وعناصر الطبيعة والضوء والهواء، كما أن اجتماع الرهبان غالباً وتأملهم يكون في الصباح الباكر ثم تفتح هذه المعابد بوابتها للزائرين، من خلال إحدى الزيارات لإحدى الحدائق ومن خلال الحديث مع المرشدة السياحية تظهر فلسفة الزين في تنسيق الصخور في الحديقة، والظاهر أن في كل زاوية تجلس بها للتأمل

لا يمكنك أن ترى إلا ثمانية صخور بينما في الحقيقة أن عدد الصخور هو تسعة، الشاهد من الأمر أن هذا التنسيق جاء ببعد فلسفي يبين أن لا يمكن للإنسان بسهولة أن يرى الصورة كاملة في الحياة، ولكنه غالباً ما يقع في زاوية لا يرى بها جزءآ من الحقيقة.

دونت تعاليم البوشيدو في رسائل مختلفة وتم تفسيرها على أساس أن يكون المحاربون مثالاً أعلى في الفضائل والأخلاق الرفيعة بالنسبة إلى الطبقات الأخرى للشعب تنص على الإحسان والبر والفضيلة والإستقامة وتنمية روح المحارب والحياة العامة اليومية وكذلك الحالة البدنية من فنون للقتال والشجاعة والتحلي بالأدب والصدق والشجاعة والخصال الحميدة وطاعة الوالدين واعتبار أن أقصى درجات الشرف اتباع محارب الساموراي لسيدة وطاعته بإخلاص حتى مماته. غير أنه يتوجب على الساموراي الالتزام المطلق بطاعة سيده، ولو على حساب الضرر الذي يمكن أن يلحق بوالديه وأهله.

يفترض على المحارب أن يتخذ بعض القرارات الحاسمة، وبالأخص إذا تعارضت بعض هذه المبادئ فيما بينها (الواجب والولاء مثلا). قد يضطر إلى رفض الامتثال إلى السلطة، إذ أن عليه أن يضع واجباته قبل كل شيء، حتى لو كلفه ذلك الخروج عن القانون. في بعض الحالات يتوجب على الساموراي أن يثبت إخلاصه -ويحافظ على شرفه- ويكفر عن أخطاءه ضد حاكميه عن طريق وضع حد لحياته (سيبوكو).

تم الخلط بين كلمتي بوشي وساموراي بدون قصد أحيانا، ترجع الكلمتان في معناهما إلى حقبتين مختلفتين من تاريخ اليابان، كما أنهما تميزان وظيفتين مختلفتين أيضا. البوشي (المحاربون)، ظهر دورهم عام 1185م، وكانوا الحكام الفعليين للبلاد أثناء عهد الفوضى. أهم ما ميز مظهرهم هو ارتداء الدروع، لم يعرفوا في حياتهم غير الحروب المتواصلة، كان قدرهم يتحدد في قلب المعارك التي كانوا يخوضونها. عملوا دائما على توسيع رقعة العشائر التي كانوا ينتموا إليها.

الساموراي، ظهر دورهم سنة 1615م، كانوا موظفين يحملون السلاح، على غرار قوات حفظ النظام (الشرطة) اليوم، يغلب عليهم ارتداء الملابس الخفيفة (كيمونو). يخضع كل واحد منهم لأحد السادة الكبار. كانوا يشكلون طبقة مستقلة، وضعوا أنفسهم في خدمة الشوغون (سيدهم الأول) ووطدوا له البلاد. كانت مهامهم الأساسية الأخرى تتمثل في إدارة الأراضي والسهر على مصالح أسيادهم في المقاطعات. و عادة يتقلدون سيفين ويتميزون بغطاء خاص على رؤوسهم. يتدرج الساموراي في المراتب العسكرية المختلفة ولكل نصيبه المناسب من الأرز. فقد الساموراي نفوذهم بعد أن تخلت اليابان عن النظام الإقطاعي عام 1871م. وكان الساموراي أقوى محاربي العالم في تلك الفترة 3

يظهر تشرب الثقافة اليابانية في ثقافة الساموراي في أمور عديدة منها الشعر ومظاهر الإحتفال بالشاي والبيوت المخصصة لذلك

والتي تمكنت من زيارتها والتي يعتبرها اليابانيون طريقة من طرق احترام الضيوف في طقوس تقديم الشاي وإن رؤية هذه البيوت وتصميمها يبين أيضاً التقاليد اليابانية والتي جعلت الدخول لأمكان احتفال الشاي مرتبطاً بالحديقة اليابانية المميزة والغير عادية في طريقة تصميمها لتصل إلى بيت تقديم الشاي والذي له مدخل صغير صمم خصيصاً لكي يبقي محاربو الساموراي سيوفهم في الخارج عن الدخول إلى احتفال الشاي أو استقبال الشاي، كما رأيت أن ذلك أيضاً تجلى في المسرح بنوعيه الكابوكي والنو اللذان لم يخلوان من المظاهر التاريخية والدينية والتعاليم المتشربة بالساموراي وثقافتهم من وجود شجرة الصنوبر كدليل للحياة وأنها تمتص الشرور إذا نزلت من السماء كما يلهم اليابانيين تفتح الكرز في الربيع بل وسقوطه الذي يعني لهم الكثير ويغمرهم بالدلالات التي تحدثوا عنها في الشعر والأدب والمسرح، بالإضافة إلى ما يعني لهم تساقط الثلوج والقمر المكتمل في صورة تكتمل في تفتح الساكورا وتعني لليابانيين الكثير8 من خلال حضور عرضين مسرحيين مختلفين لنوعين من أنواع المسرح الياباني التقليدي، اتضح تأثير ثقافة الساموراي والتأثير الديني أيضاً على ثقافة اليابان وهنا سآخذكم في لمحة سريعة حول مسرح النو الذي يعتبر أساس المسرح الياباني وكيف أن هذا المسرح عبارة عن تشكيلات يقوم بها الممثر أشبه بتشكيلات وتحركات الفنون القتالية وغالباً ما تكون بطيئة جداً يتعلمونها بالتواتر من خلال معلمين مختلفين، وتدور

أفكار المسرحيات حول قصص تراثية ترتبط بمحاربي الساموراي كرموز وغالباً ما تركز هذه القصص كما شاهدتها على أن الأرواح تطلب الغفران وأن الأرواح تتعذب إن لم تحصل على هذا الغفران، والجميل في هذا المسرح هو تشربه ومحافظته على الثقافة اليابانية، حتى أن الأقنعة المستخدمة تصل إلى مئات السنين وأن الممثل في مسرح النو لا يرى أمامه ولكنه يحيا الدور حياة حقيقية تؤثر في الجمهور وأن الحوارات تكون أشبه بالمقاطع الشعرية التي تُردد وكأنها غناء ممتد يؤثر بالمتلقي ليفهم الحكاية حتى وإن لم يكن على الم باللغة اليابانية، إن ذكر تجربة المسرح هنا لها أهمية

في تبيان تشرب وتأثر الثقافة اليابانية اليوم وفي العصر الحديث بهذا الإرث العريق وتقديره له بشكل ملفت، الدليل على ذلك كثرة هذه المسارح والتي قد تتشابه في طرحها وقصصها لكنها تلقى الكثير من القبول والحضور في اليابان.

العصر الحديث

تعتبر الحرب العالمية الثانية نقطة تحول في اليابان، حيث بدأ بعدها التمدن وعملية البناء والإنفتاح على العالم، ولا ننسى أن القوي يفرض سياسته دائماً وأن اليابان خاضت الحرب التي خاضتها مع الولايات المتحدة الأمريكية حيث تدخلت في التعليم بالأخص في فصل الديانة عن التعليم، ما أسهم في استقبال الثقافة الأمريكية بشكل كبير، ولكن الشعب الياباني دون أن يملك تمسك بعاداته وتقاليده العريقة خصوصاً في العمل والمجتمع الأخلاقي الذي يعتمد على احترام الآخرين وتقديرهم، تلك الصفات التي ارتبطت تاريخياً بالدين ثم من تعاليم البوشيدو التي آمن بها الساموراي وجعلوها دستوراً لحياتهم، فالساموراي حققوا مجتمعاً متقدماً بالمحافظة على مواثيق الشرف للمحاربين وتقديسهم للعلم من أجل من يدينون له، فالياباني لا يعمل إلا من أجل سيده أياً كان هذا السيد وبالصورة الحديثة تغيرت صورة هذا السيد من شكله التقليدي إلى الشركة والدولة وربما رئيسه في العمل الأمر الذي جعل تقديس العمل أمراً لا يمكن مناقشته مع المجتمع الياباني مما أدى إلي انتشار الإتقان والجودة الحقيقية التي أصبحت سمة مجتمع

فضلاً عن سمة كل منتج يقول اليابانيون عليه ويحاولون إظهاره للعالم، ولعل التحدي الكبير في إثبات الوجود ومنافسة العالم والخروج من أحداث الحرب بأقوى ما يكون جعل الثورة الصناعية ثروة جنى ثمارها اليابانيون لسنوات وأثبتوا للعالم أن البناء الحقيقي هو بناء الإنسان.

سوق السمك في طوكيو

في فترة إيدو وفي عهد الشوغن توكو غاوا إياسو كانت بداية تأسيس سوق السمك في طوكيو، وقد بدأ بسيطاً بالقرب من الجسر لتأمين احتياجات قلعة إيدو وبعد تعرضه لزلزال تم نقله ليصبح في مكانه الحالي ويعد من أكبر أسواق السمك في العالم حيث يضم أكثر من 400 منصة للبيع تقع على مساحة كبيرة ويعمل به حوالي 60000 ألف عامل يومياً.

بدأت الرحلة بزيارة المعبد القريب والذي بني لكي يمتص غضب البحر كما كانت تروي الفتاة التي كانت دليلنا السياحي في ذلك اليوم، ولم نكن ندرك أهمية أن نكون هناك فيعتبر السابعة صباحاً إلا حينما علمنا أن السوق يبدأ في الرابعة صباحاً بالمزاد الكبير على أسماك التونة والتي تعتبر ثروة ومهنة توارثها اليابانيون منذ حوالي 400 سنة فرؤية المزاد والطريقة التي يتعامل بها المتداولون من مزايدة بالإشارة باليد اليمنى وطريقة انتقاء الأسماك الضخمة المجمدة والطرية توحي بالكثير، فضلاً عن انتقاء وتقييم الأسماك الذي يرثها اليابانيون أيضاً ويتعلمونها ويعلمونها لبعضهم،

يعتبر اليابانيون هذا العلم بالأسماك ثروة عائلية يخشون عليها من الضياع في خضم التطور والصعوبات وقلة هامش الربح.

إن من يزور سوق السمك يدرك براعة اليابانيين في إتقان عملهم وجديتهم في ذلك وقد تعمدت ذكر ذلك لما حذرتنا

المرشدة السياحية من خطورة التعرض لحادث بسبب عبور آلاف العربات الصغيرة التي تنقل الأسماك يومياً والتي من خلال نظرات الصيادين والباعة تبدو طرية صعبة في التعامل مع الحياة، فالسائح في تلك المنطقة غير مرغوب فيه ويعتبر وكأنه يعيق العمل في تحركه وتصويره وتسكعه بين دكات بيع الأسماك الممتدة والمتلاصقة، كما أن العجلة والوتيرة التي تمشي بها العربات تعتبر إيقاعاً سريعاً جداً يمثل اليابان بصورة مصغرة في تعاملها مع العمل وطبيعته والجدية فيه وكأن الوقت سينتهي قبل أن ينجز عمل اليوم، وكأن كل من هو منهمك في عمله لا يرى شيئاً سواه، الأمر الذي جعلني أفكر كثيراً في هذا الإستغراق والذي يطرح تساؤلاً آخر إن كان هؤلاء يملكون حياة هادئة في أسرهم أو إن كانوا يملكون حياة أصلاً غير العمل.

وتستمر الرحلة في سوق السمك في التنوع والتخصص ويقال أن الكميات المباعة يومياً بسبب السوشي تعد بمئات الملايين من الدولارات الأمر الذي يجعل أهمية هذا السوق عالية جداً فهو يمثل اقتصاداً متكاملاً، هذا ولا أنسى أن أصف المأكولات البحرية المخففة وسوق الخضار الممتد بجانبه والمطاعم التي تقدم السوشي مباشرة من السوق إلى الفم.

إن النظر إلى تقطيع أسماك التونة كبيرة الحجم والتفاصيل في حجم القطع ووقت قطعها والتمييز بين المجمد منها وغيره يبين ثقافة اليابانيين الحقيقية في التدقيق في التفاصيل الصغيرة التي جعلتهم يخلفون تماماً في تصنيف جودة التونة والأسماك المختلفة فالأسماك التي تتمتع بالجودة العالية تؤكل نية والتي لها جودة أقل تكون مخصصة للشواء أما التي هي أقل جودة فتكون للقلي وهكذا تبدو روعة هذا التمايز الذي لا تراه إلا في اليابان، أما سكاكين القطع فإنها مخصصة جداً فالطاهي الذي يقطع الأسماك يحتاج سنوات وسنوات من الخبرة ويذهب بنفسه إلى المتخصص في صناعة السكاكين لتصميم سكينه الخاص بإسمه بالشكل الذي يحتاجه فضلاً عن السيوف الكبيرة والمرنة وتغيير وسائل القطع حسب الخبرة والتي تصل إلى أكثر من سبعة وسائل مختلفة ولكها تعتبر اختراعات بسيطة ومميزة لا تراها إلا في اليابان.

الإتزان الإنسـاني

إن للتطور ضريبة بل ضرائب، وأغلب تلك الضرائب لا تظهر على السطح بشكل كبير، فهي عميقة بجذورها وتراكماتها وهي عبارة عن الكثير من الأفكار والترسيخ في ثقافة البشر، وهنا أذكر ما قيل في أن التراكم المعرفي في بقعة ما على وجه الأرض يتماشى مع انفتاحهم أفكارهم التي يتوارثونها وحجم انفتاحهم على العالم.

إن ما مرت به اليابان من نقلات سياسية ومن حروب مختلفة وتغييرات، ساعدت هذا البلد على تشكيل ثافته الخاصة والتي لا تشبهها ثقافة أخرى كما شكلت التفاعل الحضاري مع الحياة والذي أدى إلى هذا التقدم الكبير ولعل ذكر سوق السمك كمثال يمتد أعمق من ذلك في تشكيل نسيج العائلات اليابانية وربما امتداد تأثير الطبقية إلى يومنا هذا فالناظر إلى اليابان بكل تطوره وعجلة حياته المتسارعة لا يدرك أن كثيراً من جذور الطبقية مازالت متعمقة لأبعد مدى لأن تلك الطبقة استمرت مع اليابان سنوات طويلة والتي امتدت بها فترة الساموراي لأكثر من 700 سنة ويكون في الإمبراطور في أعلى الهرم ثم يأتي بعده الشوغن ثم الداميو وهم

الذين يملكون الأراضي والنفوذ وبعد ذلك يأتي محاربو الساموراي، بعد طبقة المحاربين يأتي الفلاحون وثم يأتي التجار والحرفيون والذين يعتبرون في الطبقات الدنيا في المجتمع حتى وإن كانوا يملكون المال ومع التطور وبالأخص بعد عودة اليابان إلى الإمبراطورية قبيل فترة إيدو بدأت هذه الطبقات بالتغير ولكن الإنتماء العائلي في اليابان امتد ومازال اسم العائلة مهماً جداً والحفاظ على الإرث العائلي أيضاً، الأمر الذي يجعل توريث اسم العائلة لمن يقون بإدارتها، والغريب أنه من خلال الحديث مع اليابانيين أن أكتشف أن مسألة توريث اسم العائلة قد لا يقتصر على الإبن فقط، ولكن قد يتبنى كبير العائلة من هو أصلح من ابنه ليدير شأن العائلة وثروتها بل وينسبه إلى اسمه، وهذا الأمر يعتبر أمراً شائعاً وعادياً خصوصاً في بعض العائلات المحافظة على هذا الإرث القبلي.

وبالعودة إلى موضوع الإتزان نلاحظ أن المسألة تعود إلى الكثير من أساسيات خلق الإتزان المجتمعي وهو الموافقة بين العمل والأسرة والصحة أيضاً، الأمر الذي يغفل عنه اليابانيون كثيراً فهم مازالوا في إرث العمل للسيد ولكن أصبح السيد هو رب العمل والدولة، والمصلحة العامة بدل مصلحة الفرد، أما التعاليم التي يفترض لليابانيين أن يؤمنوا بها بانتمائهم للبوذية تنص على البداية من الفرد والإنطلاق للخارج كما تنص الكثير من التعاليم الروحية وتعاليم الزن التي يفترض من المجتمع الياباني العودة إليها

والإنتماء إليها ليحاول العودة إلى التوازن، بل وترتيب الأولويات التي قد تخفف من وطأة ضغط العمل الذي اكتشفت الحكومة اليابانية مضاره السلبية حتى على الإنتاجية نفسها وبالتالي حاولت في الآونة الأخيرة وضع قواعد وقوانين تحد من ذلك أو على الأقل تقلله.

التحديات التي تواجه اليابان

مع تطور اليابان والتقدم في كل المجالات وبوجود روح الساموراي اليابانية في العصر الحديث وتقديس العمل، فقد اليابانيون دون أن يشعروا ارتباطاتهم الروحية والتي كانت تعيدهم لذواتهم وتعيدهم للتأمل والحياة الحقيقية، فالمجتمعات المدنية وبوجود عصر الصناعة فقد الإنسان في انهماكه في العمل وتقديسه له أغلى ما يملك وهي القيم الإنسانية البسيطة التي لا يقل احتياجها عن احتياج المال في ارتفاع المعيشة، وربما كان للتغييرات الإقتصادية الأثر العميق في هذا التغير، حيث أن الإنتكاسة الإقتصادية في التسعينيات أفقدت اليابان الكثير من الثقة وأفقدتها الأمن الوظيفي والإنتماء الذي كان ينعم به اليابانيون لسنوات طويلة، فالشركات التي بدأت في العصر الحديث كانت تتكفل بالموظف لأبعد مدى وكانت تقدم له من الإنتماء ما كان يحفزه على العطاء للعطاء، ولكن خسارة الشركات واتجاهها إلى تقليل النفقات وزيادة الإنتاجية بلا حدود في تلك الفترة أفقدت الموظفين الثقة ولم يعد الإنتماء الوظيفي هو الأساس رغم استمرار اليابانيين في تقديس العمل الذي يصل بهم إلى المكوث في العمل لساعات

طوال فضلاً عن كثرة انتشار حالات الإنتحار في حال فقدان الوظيفة أو بسبب الضغوطات التي يتعرض لها اليابانيون في العمل دون جدوى، وفي هذا الأمر أركز على أن طبيعة الشعب الياباني العاطفية وتقديره للآخر قد يكون على حساب ذاته عودة إلى تأصيل تعاليم البوشيدو التي ورثها عبر العصور والسنوات، كما ذكرت في الفصل السابق وأن الولاء لرب العمل أياً كان بعد غياب السيد ربما ساهم في ترسيخ الولاء للشركة والدولة وتغليب المصلحة العامة على مصلحة الفرد فالمجتمع الياباني اليوم يعمل فترات طويلة جداً حتى أنه لا يملك وقتاً لحياة أخرى وتمضي الزوجة حياتها في خدمة الأبناء وحدها في أغلب الوقت حتى أن الدولة الوحيدة التي اكتشف فيها الكاروشي وهو الوفاة بجلطة دماغية بسبب كثرة العمل بعد وفاة شاب في عمر التاسع والعشرين حتى أنه صار قلقاً عاماً في اليابان كما أنني أرجح أن حالات الإنتحار بسبب الضغوط بل أن فكرة الإنتحار كان لها اتصال بانتحار الساموراي ربما وقد تشوهت مع الوقت لتصل أنه هروب من ضغوط الحياة وتفشيه في المجتمع بشكل مختلف.

قلة المواليد
وزيادة عدد كبار السن

مع انهماك الشعب الياباني في العمل ومع دخول المرأة اليابانية مجال العمل بقوة للمساهمة في عجلة الإقتصاد، ومع وجود جودة الحياة وانتشار الرعاية الصحية وجدت اليابان نفسها في مواجهة تطور الحياة السريع، حيث أن 23٪ من الشعب الياباني يعتبر من المعمرين فوق الستين عاماً وعدم وجود جيل يأتي وليدفع الضرائب ويدير عجلة الإقتصاد، تجد دولة اليابان نفسها في مأزق حقيقي نتيجة الإنغماس في العمل وفقدان الحياة الحقيقية وهي الأسرة المرتبطة التي تبنى على القيم وتبني المجتمع القادم، وعليه فإن النظر في تطبيق معادلة الإتزان في الحياة بين العمل والحياة العائلية والأسرية يحتاج الكثير من العمل الجاد الذي قد يجعل تدارك الأمر مهماً جداً بل حاجة ملحة، ورغم ذلك تجد الروح اليابانية تسيطر من جديد في محاولة ابتكار حلول تقنية مميزة بالإبداع لكل المشاكل التي تواجهها، فقد أسست إحدى الشركات اليابانية تقنية تساعد كبار السن على التأقلم مع الحياة في محاولة استعادة قدرتهم

على الحركة من خلال قوائم تعمل من خلال ارتباطها بالأعصاب مبتكرة بذلك أملاً جديداً يمكن لكبار السن من خلاله ممارسة الحركة اليومية بشكل أفضل. الأمر الذي يعزز توجه اليابانيين إلي توظيف التكنلوجيا في قالبها الإنساني أكثر من التركيز على المنافسة فيالتقدم التكنلوجي. وربما ما هو أهم من ذلك هو أن يجد اليابانيون مساحة لأنفسهم خارج إطارات العمل المنهك حتى تكون فترات ما بعد التقاعد فترات للراحة لا فترات للوحدة والمعاناة، فالخروج من العمل المنهك إلى التقاعد قد يؤدي أيضاً إلى الشعور بالفراغ الذي تعاني منه اليابان والي قد يؤدي إلى مشاكل اجتماعية متفاقمة حتى أن البعض يقول بأن الزوج لا يمكنه الرجوع إلى الجلوس في المنزل بعد أن يفقد وظيفته لأنه لم يعتد ذلك فيكتشف أن هنالك مشكلة كبرى تواجهه وهو الجلوس في المنزل دون عمل.

إن الإستفادة من تجربة اليابان في مجال العمل والإنتاجية مهمة جداً للعالم أجمع، فاليابان أكثرالدول تطوراً على مستوى العالم والحلول التي تقدمها اليابان يمكنها أن تجنب العالم من تكرارها في الإتجاه الذي يسلكه العالم مع انتشار التطور الذي قد يتكبد الإنسان العامل ضرائبه والأسر والمجتمعات.

اليابان والإنغلاق الثقافي

اليابان بلد غني جداً بالجمال والتفاصيل بلد بني على الإكتفاء بجهد أهله والتنوع المختلف على أرضه المعطاء، الأمر الذي أسهم نوعاً ما بانغلاقه على نفسه وعدم اطلاعه على الثقافات الأخرى خصوصاً في العصر الحديث ويعود سبب ذلك إلى فترة حكم الساموراي الذين رفضوا الإنفتاح على العالم، ولعل تجربة اليابان تكون من أهم التجارب الحضارية للعالم وربما الشرق الأوسط على وجه التحديد لأننا أحوج ما نكون لهذا الحوار الحضاري الذي يسهم في حل المشكلات وإيجاد سبل السلام في العالم انطلاقاً من دول لديها أهداف كثيرة مشتركة وقد تلتقي ثقافياً وفنياً وإنسانياً واقتصادياً بوجود أو إيجاد الروابط والجسور التي تربط بين الحضارات والثقافات هذا بالإضافة إلى الإستفادة من الفكر الياباني في علاج المشكلات اليومية ورسم خطط الحياة التي تمتد من الجذور وتنطلق من الذات والأخلاقيات لمساعدة الآخرين في ممارسة الحياة بشكل أفضل، كما أننا نجد الكثير من العصامية في التجربة اليابانية ومحاولة الإنطلاق من الموجود وتعديله

وتطويره بشكل فعال بل والتفوق على ما هو موجود لأن الهدف دائماً ما يكون أسمى من مجرد التجارة أو تحقيق المال إنما هو لخدمة الحياة وممارستها بشكل أفضل.

زيـــارة اليابـان

لم تكن زيارتي لليابان زيارة عابرة أبداً لكنها زيارة أثرت بشكل كبير في نفسي لما لمسته من ارتباط الشعب الياباني بالمكان والتاريخ والفن والتراث، تلك المساحة التي كانت تصب في كل شيء في تفاصيل الحياة اليومية، ولو أنني لاحظت أن الشعب الياباني لم يكن يدرك ذلك، فالأشياء أصبحت بديهية هناك وأصبح الغريب عدم وجودها أو عدم ممارستها، على عكس الكثير من الدول التي لا تجد النظام في يومياتها بل أنها اعتادت على الفوضى في التفاصيل اليومية وعدم وجود عرف يحكم الكثير من التعاملات اليومية، أذكر مثالاِ بسيطاً أن هنالك نظام متعارف عليه عند سائقي سيارات الأجرة فاللوحة الأمامية لها ثلاثة ألوان مختلفة لكل لون دلالته حيث أن الأحمر يمثل أن هذه السيارة يمكن استئجارها، والأخضر أنها مشغولة والأصفر أنها محجوزة وبالتالي تشكل هذه العلامات عرفاً واضحاً في المجتمع عن كيفية استئجار هذه السيارة فضلاً عن تقبل السائقين الإيجابي وتقديرهم للوقوف المفاجيء لسيارات الأجرة بعد وضع إشارات التنبيه التي تحيط بالسيارة، وأنك حين تركب في سيارة الأجرة لا تحتاج أن تغلق الباب لأنه

مزود بنظام الإغلاق التلقائي الذي يسهل عليك عناء الإغلاق وأن كافة سيارات الأجرة لا تفتح سوى الباب الأيسر الأقرب إلى الرصيف وأنك تقف على الرصيف الذي سيكون في الإتجاه الذي سيسلكه سائق الأجرة، ولكم أن تتخيلوا كل هذه التفاصيل الثابتة في عملية بسيطة جداً تمثل أهمية النظام والعرف الأخلاقي والإيجابي والذي يسهل على الجميع التعامل مع الحياة.

قد يرى الزائر في ذلك مشقة وأن اليابانيون يعقدون الأمر كثيراً، ولكنه بمجرد أن يبدأ بالتفاعل مع الحياة بتلك الأعراف يدرك أهميتها ويدرك أنها حقاً تسهل الحياة وتجعل الأمر أقرب للمارسة اليومية التي لا يمكن تخيل العيش دونها، وأضيف إلى ذلك عدم التعقيد في بعض الأمور ومحاولة استخدام المساحات بشكل جيد في مواقف السيارات بالإضافة إلى الكثير من التفاصيل التي تجعل اليابان بلداً متفوقاً في الحضارة علي البلدان الأخرى. إن التجربة لا يمكن نقلها بسهولها والتحدث عن الأمر لا يشبه ممارسته أبداً وكذلك كانت تجربة اليابان المميزة والتي لا يمكن نقلها بسهولة في كتاب بل إن أفضل طريقة لاختبارها هي معايشة حقيقتها، فالإحترام المتبادل في الطريق والشارع ومراعاة شعور الآخرين والشعور العام في الزيارة لا يمكن لإنسان ملامسته إلا على أرض الواقع في شوارع اليابان ومن خلال معاشرة اليابانيين في التعاملات المختلفة التي تلمس فيها الصدق والمباشرة والأناقة والرقي في التعامل إن صح التعبير.

الوضع الإجتماعي في اليابان

باعتبار اليابان أحد آكبر اقتصادات العالم وطوكيو على وجه الخصوص أحد أكثر المدن تطوراً في العالم آمن اليابانيون خطأً أن العمل المستمر الجاد والمتعب هو ما يمثل النجاح والمال والإستقرار الإجتماعي لكن الحقيقة أن هذا الإيمان لا يجد نفسه على الواقع في كل الحالات وغالباً ما تكون ضديبة النجاح المصطنع غالية جداً، فحين يكون العمل كل شيء يكون المقابل هو دفع ثمن الحياة الإجتماعية وحياة العائلة والعطلات التي لا يعرفها اليابانيون كثيراً، ويعتبر المجتمع الياباني نتيجة لطبيعة تغليب مصلحة المجتمع على الفرد، ولا يمكن لليابانيين التوقف الآن عن هذه الفلسفة فهم يفضلون المصلحة العامة ويشعرون بالذنب الكبير اتجاه المسؤولية العامة ولعل ذلك امتد من الإرتباط العميق بالثقافة التي جعلت الوجه العام والظاهر لليابانيين وجهاً مؤدباً يخفي طبيعة النفس البشرية الداخلية التي تحاول إخفاء حقيقتها وأن ذلك أثر كثيراً على التماسك الحقيقي للعائلة الأمر الذي تتجه إليه الكثير من المدن التي تحاول زيادة العمل والإنتاجية على حساب المجتمع والأسرة، كل ذلك الضغط الإجتماعي جعل من الصعوبة جداً على

اليابانيين العيش دون عمل بعد التقاعد أو حتى التآلف مع حياة الراحة بسهولة ولعل العودة إلى الكثير من الهدوء أو العيش في الحاضر والذي تنص عليه الديانة البوذية في تعاليم الزن تطرح تساؤلاً كبيراً حاولت من خلال الأصدقاء اليابانيين الإجابة عليه وهو كيف انفصلت الحياة الحقيقية عن هذه التعاليم التي أثرت في المجتمع الياباني والتي تنص على التأمل والطبيع وكأنها أصبحت من التراث المقدر والمقدس والذي لا يطبقه اليابانيون في حياتهم اليومية ولو أنهم عادوا إليه لوجدوا لنفسهم مساحة من الحياة بإمكانهم أن يتوقفوا بها عن الركض وراء مفهوم النجاح الذي يتحرك كلما وصلوا إليه ولعلي في هذا الكتاب أشير إليه ولو بلمحة أن العمل لا ينفصل عن الحياة وأنه خلق من أجلها، فإذا أصبح العمل هو الحياة بأكملها فإن الإنسان يخسر الكثير وربما يخسر نفسه وأسرته ليجد نفسه آلة تجري بلا حساب حتى تتوقف فجأة أو تجد ما يوقفها فتكون الصدمة كبيرة جداً، وأن ما نحتاجه في هذه الحالة هو التوقف والتنفس والرجوْ إلى البساطة التي من شأنها أن تعيد الإنسان إلى ذاته إلى إنسانيته.

تجربة الكتابة عن اليابان

لا شك أن الإطلاع السريع على الثقافة في بلد ما والتعرف على تراثه وحيثياته تجربة رائعة، خصوصاً لمن يملك حسًّا يتناغم في تقبل وجهة نظر أخرى واستيعاب شعب يختلف في فكره وطريقة أكله وديانته وتعامله مع الحياة، والأكبر من ذلك الإنخراط في الحياة اليومية أو تجربة العمل واكتشاف بيئة العمل الحقيقية والإختلاط بالشعب واكتشاف ما لا يُكتشفُ في زيارة قصيرة، وهنا أشير إلا أن التلاقح الثقافي والمعرفي الحيقيقي لا يكون إلا بقضاء مدة كبيرة في المكان بل والتنقل من مكان لآخر على نفس البلد واكتشافأصحاب المهن المختلفة وطبقات المجمع وتعامله في المناسبات والأعياد وتقبله للإختلاف واستيعابه وتعامله مع التكنلوجيا ونظرته للآخر، كما تحتاج هذه المسألة من حوارات ممتدة وتقبل كبير للذوبان في النسيج الذي لا تساعدنا الرؤية الخارجية غالباً على اكتشافها، فالإنسان غالباً ما يظهر وجهاً اجتماعياً منمقاً بصورة يريد هو أو أن يراه الآخرون عليها، ولا يظهر الحقيقة الداخلية للفرد وبالتالي المجتمع إلا الإحتكاك أو الإختلاف الفكري الذي يبين هذا الإختلاف وطريقة التعامل معه

في الحياة، بل إن هذا التصادم أحياناً يسرع من عملية اكتشاف خط ثالث مخالف للوجهات المتناقضة ينتج عنه ابداع جديد يوافق بين وجهات النظر بل قد ينقل العالم إلى تغيير فكرته عن شعب ما في مكان ما ليبدأ التقبل الحقيقي للإختلاف.

ما احوجنا اليوم إلى ما قد يجمع الشعوب ويرسم إنسانيتها فيقربها من بعضها ويقلل من التمايز المختلف في العرق والإنتماء، ولا يمكن ذلك إلا من خلال استيعاب الفن الإنساني والشعر والثقافة والأدب بإيجابية وتجرد حقيقي، وإظهار الجمال والإستفادة من التجارب وقراءة التاريخ والتطور الحضاري دون محاولة تغيير الآخر أو فرض ما نفكر ونؤمن به عليه، وهنا أتمنى حقاً أن يتم نقل الحضارات من قبل كتاب منصفين ينقلون ما يرون فيجعلون العالم مكاناً متحاباً ومتميزاً بروعة الإختلاف.

1 - https://ar.wikipedia.org/wiki/فترة_إيدو
2 - https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_Japan
3 - https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D8%A7%D9%85%D9%88%D8%B1%D8%A7%D9%8A
4 - https://ar.wikipedia.org/wiki/بوشيدو

كثير مما في الكتاب كان نتيجة للحوارات مع الكتاب والمشرفين على الرحلة التي قد يرى من يرى فيها وجهة أخرى تخالف وجهة نظر الكاتب وما كان من الكاتب إلا الربط ومحاولة لاستخلاص نظرة عن الموضوعات المتداولة في الكتاب.

فهرس

الإهداء	5
الأماكن وارتباطنا بها	7
كيوتو وبداية الحرف	11
بلاد التفاصيل	19
الفترات التي مرت بها اليابان	26
تعاليم البوشيدو والساموراي	29
العصر الحديث	35
سوق السمك في طوكيو	37
الإتزان الإنساني	41
التحديات التي تواجه اليابان	45
قلة المواليد وزيادة عدد كبار السن	47
اليابان والإنغلاق الثقافي	49
زيارة اليابان	51
الوضع الإجتماعي في اليابان	53

تجربة الكتابة عن اليابان 53